قمر من زمان الطفولة

عبد الكريم يحيى عبد الكريم

مِنَ الغبش المزدهي بأريج السّريرةِ . . يَطْلَعُ :
وَجْهٌ من الماءِ . . عَذْبٌ
شَعْرٌ ينام على الكتفين
وعينان ـ عصفورتَانِ
تَرِفّان بين البيوت وبين الحقولْ
ويلبس قبّعةً من وَجَلْ
يجيءُ . .
وفي عبّه أغنياتٌ، وأسماءُ مبهمةٌ، وحكايا
يُعابثني مثل فَرْخ حمامٍ
يداعب وجهي . . ويغمرني بالقُبَلْ
يزقزقُ . .
يفتح نافذةً في دهاليز ذاكرتي :
إنّه الحلوُ . . يُخْبِيءُ جِنْحَيْه بين ضلوع الشّجَرْ
وينبتُ سنبلةً في المطرْ
يُطوِّف بين ضفاف الزُّقاقْ
ويركض كالمُهْر خلف الرّفاقْ
يدحرج تكويرةً من قماشٍ
يخربش في دفترٍ أثريّ
ويرسم منتشياً ما يشاء :
(شموساً
طيورَ غمامٍ
بيوتاً ـ ضباباً
وقوساً من الألَق المطريّ يسافر بين السّماء وبين السّماءْ
سُنُونوَةً تنقر الماءَ
نهراً من الورقَ الميْتِ في الرّيح
أو شجراً خَضِلاً بالدّموعْ) .
يحطُّ المساءْ
ويبتلع الأرضَ . . هذي العفاريتُ تخرج من جُبّة الليلِ
تزحف في الطّرقات . . تعربدُ
تَفْغَرُ هاويةً من جحيم

يحطُّ المساءْ
تضوع الحكايةُ عن طائرٍ أخضرِ الوجهِ
يسبح بين الحواري . . ويرفع أغرودةً من بكاءْ:
أنا الطّائرُ الأخضرُ
أنا الآهُ ـ والخنجرُ
بصدري . . لا يسكرُ
تضوع الحكايةُ:
جنّيّةٌ تلبس الأرجوانَ
وتخرج في الليل للأرضِ
تبحث عن عاشقٍ لتنام علىٰ يدهِ ـ الأقحوانةِ . . حتّى النّهار
يزقزق . .
يفتح نافذةً في دهاليز ذاكرتي:
قَمَرٌ أبيضٌ . . أبيضٌ . . لؤلؤٌ . . شامخٌ فوق ليل المدينةِ
سُورٌ عتيقٌ
ومئذنةٌ تشرئبُّ
وأغنيةٌ تتأرجح بين البيوتْ
ـ هو العيدْ
يا ليلةَ العيدِ . . لا لن أنامَ إلى أن يكون الصباحُ السعيدْ.

* * *

إلى أين ترحلْ يا ذا الضّفيرةْ؟
إلى أين تمضي؟
أتحلم أن تتحرّق كلُّ الفصول بلحظة ومض
لتخلعَ عنكَ قميصَ الزّغب؟
أعشتَ ربيعَكَ بين الفصولِ . . لكي تتسلّق أرضَ التّعَبْ؟
ألا اركضْ . . وغنّ
علىٰ عتبات المدينةِ
بين شعاب الأزقّةِ
طيِّرْ حمامَتَكَ الورقيّة في سَرْحَةِ التّلّ . . عند الضّريحِ
أو ادْخلْ إلىٰ رحم «الأكِدِنيا»
صغيراً نبيّاً
وغصناً طريّاً.
حَبَبْتُكَ يا أيُّها الطّفلُ
كيف افترقنا؟
وكيف نسلتَ جناحَيْكَ منّي؟
حَبَبْتُكَ . . يا ليت يوماً تعود إليّا
بكلِّ الكتابات والخربشات
بكلِّ الحماقات والتّرهات
وتحمل لي في يديْكَ حصاةً من النّهر
أو صَدفاً
أو قِلادَةَ طيرٍ.
سلامٌ عليك أياذا الضّفيرةِ . . ألفُ سلامْ
سقىٰ الحبُّ أرضَكَ ـ أرضَ القرنفل
ضوّأتَ فيَّ قبابَ الظّلامْ.

حمص